تأثير العمالة الوافدة على اللغة الوطنية

أ . جمال حسين حسن شمس الدين آل الهادي
وزارة التعليم --- إدارة تعليم جازان

المقدمة :

أطلعت على الكثير و العديد من المقالات في صحفنا المحلية والخليجية التي تتحدث عن (مخاطر وتأثير العمالة العمالة الوافدة على اللغة الوطنية) ، كما رجعت إلى مواقع متفرقة على الشبكة تتحدث عن نفس الموضوع ، وأفدت من ملاحظاتي الشخصية وحوارات أجريتها مع بعض الأشخاص في البعدين الثقافي والاجتماعي حيث يمكن تلمس أثرهما في الواقع المشاهد خاصة مع توافر العمالة في المحيط الذي نعيش فيه .

أما بالنسبة لطريقتي في عرض الموضوع فقد جمعت ما رأيت أهميته مما أطلعت عليه مع الإشارة إلى المصادر ثم لخصت رأيي فيما جمعته على شكل نقاط ، والله أسأل أن يجعل هذا العمل مسدداً موفقاً

المدخل :-

التأثير على اللغة العربية يعني التأثير على الهوية الإسلامية العربية التي أصبحت تتوارى في بعض الدول الخليجية إلى حد كبير خاصة الدول التي تعمد لمنح الأجانب من الجنسيات المختلفة جنسيتها الوطنية كدولة الإمارات المتحدة – والزائر لمدينة دبي مثلاً يشاهد على أرض الواقع كيف توارت الهوية الإسلامية وضياع اللسان العربي حتى الذي لا يتحدث لغة أجنبية في دبي لا يستطيع العيش فيها بسهولة فأصبحت دبي ثقافتها غربية تعيش على أرض عربية.

إن تأثير المربيات الأجنبيات على المجتمع الخليجي يمتد إلى الأجيال الجديدة التي اضمحلت لديها الهوية القومية فضلاً عن ظهور شكل جديد من الهوية الهجينة وذلك ما ترجمه د. سمير السعيداني في كتابه (مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية) (1) إلى مفهوم استعارة الترميق

كذلك فإن الناشئة في أحضان المربيات يضعف لديهم التحصين الذاتي أو المناعة الدينية التي يكتسبها الأطفال في حال نشأتهم في بيئة إسلامية سليمة لذا فقد يقلدون المربيات في طقوس دياناتهن أو قد تعمد المربيات إلى تعليمهم ذلك خاصة في ظل غياب الرقيب من أهل الطفل.

احتلال العمالة الوافدة الأجنبية لمراكز قيادية يعني أنهم سيظهرون ثقافاتهم ومعتقداتهم إظهاراً رسمياً على مستوى الدولة وقد ظهر ذلك في إنشاء الكنائس والمدارس العالمية التي لا تعترف بالهوية الإسلامية إلى جانب البارات التي ظهرت بشكل مؤسف في بعض دول الخليج العربي .

بسبب طول الاحتكاك والتعايش مع الأجانب في مناطق معينة كالإسكان الذي يتبع الشركات الخاصة ظهرت فئات في المجتمع لا تعتز بثقافتها الإسلامية العربية .

ساهمت العمالة الوافدة بكل جنسياتها - مع أمور أخرى عديدة - في الانفتاح الثقافي (2) على مجتمعاتها ، مثل تأثير شركة أرامكو في الظهران على سكان المنطقة الشرقية الذين عملوا فيها وخاصة قبل خمس وسبعين إلى أربعين عاماً حين كانت الشركة أمريكية الهوية والثقافة .

البعد الثقافي : -

أشارت دراسة للأكاديمي الإماراتي د. سعيد حارب إلى عدم إجادة أبناء الخليج للغة العربية وخاصة في المراحل المبكرة من طفولتهم وأرجعت ذلك إلى خروجهم من بيئات تعتمد المربيات

عنصراً أساسياً لتربية الأطفال والدراسة تذكر نسباً مفزعة (3) حيث تؤكد أن 80% من أبناء الخليج متعثرون في القراءة ، و 75% يستخدمون اللغة الإنجليزية في تعاملاتهم فيما يخطئ 95% منهم في اللغة العربية (4) ، كما أشار د. حسن مدن (5) إلى العربية المكسرة التي أصبحت وسيلة أساسية للتفاهم في الطرقات والأسواق وغيرها .
ليس بديلاً عن اللغة العربية فقط وإنما عن اللهجات المحلية التي تستمد قواعدها من الفصحى .
يحتل الأجانب في دول الخليج مراكزاً قيادية خاصة الغربيين الذين تقدم لهم كل التسهيلات بدءً من التأشيرة والسماح لهم بالإقامة الدائمة وتملك العقارات (6) ونهاية بالاحترام والتقدير كما تمنح لهم امتيازات مختلفة وأولوية في العمل ومرتبات أعلى مما يمنح للعرب حتى لو امتلكوا نفس التخصصات والخبرات (7).
وتقول الدكتورة القنيعير " إن لغة جديدة أخذت تظهر في دول الخليج، ومن شأنها أن تشكل خطراً على لغتنا، لا سيما عندما يتعلمها الأطفال ويكبرون عليها، وهم لا يحسنون التحدث بلغتهم، معتبرة أنها «أزمة وجودية بامتياز، نسهم في تفاقمها من حيث لا نشعر" (8)
وتقول الدكتورة لطيفة النجار أستاذة اللغة العربية في جامعة الإمارات العربية المتحدة : -
" إن أثر العمالة الوافدة على اللغة العربية في دول الخليج ينحصر في كونه مصدراً قوياً من مصادر توليد ما يسمى باللغة الهجين، أو «الرّطانات»، مبينة أن انتشار مثل هذا يؤثر في عملية اكتساب اللغة العربية وتنميتها وتمكينها
وأن مشكلة اللغة العربية ليست نابعة من نفسها، إنما تنتمي إلى ما يعرف ((باللسانيات الخارجية))، ولفتت إلى أن دول الخليج تستقدم أعداداً كبيرة من العمالة الوافدة على أراضيها دون قيد أو شرط من شأنه أن يحمى تراثها وقيمها ولغتها، متسائلة
كيف نتحدث عن ظاهرة سلبية نحن صنعناها بأنفسنا، ومازلنا مستمرين في تجذيرها وتوسيعها، جاهلين أو متجاهلين أنه يحق لنا أن نضع شروطنا التي تحمي معتقداتنا وتراثنا ولغتنا ؟! " (9)

البعد الاجتماعي : -
أرجع الاستاذ حيدر شامان الصافي (10) أسباب زيادة العمالة الوافدة في المجتمع الخليجي إلى تجنب الخليجين العمل في عدد من المهن لأسباب اجتماعية ، واتصاف هذه العمالة بخصائص تجعلها مقبولة لدى أصحاب المؤسسات والشركات كتدني المستوى التعليمي والثقافي وبالتالي فإن الوافد لا يطلب أجوراً مرتفعة ويقبل العمل في ظروف لا يريد المواطن الخليجي تحملها أو القبول بأجرها كقطاع المقاولات والبناء وأعمال النظافة وتجارة الجملة والمطاعم والفنادق السياحية ومدن الألعاب وشركات النقل وغيرها من الأعمال المهنية .
تؤكد الدراسات أن هناك مشاكل اجتماعية كثيرة ومتنوعة بسبب هذه العمالة وقد أثّرت على وحدة المجتمعات الخليجية وتماسكها (11) ، والأسرة في المجتمع الخليجي تواجه تحديات كبيرة من أهمها وأخطرها الجريمة التي تسللت إليها عبر أساليب شتى من ضمنها العمالة الوافدة التي يمتلئ بهها المجتمع الخليجي (12).
تحدث د. عبدالله المدني فقال : إن الطريقة التي تثار بها مشكلة العمالة الوافدة إعلامياً وما يطلق فيها من عبارات مثل : (القنبلة الموقوتة) ، (الخطر الداهم على الهوية الوطنية) ، وما يوجه فيها من اتهامات مثل : (تحويل المليارات من الدولارات سنوياً إلى الخارج) قد تجرنا إلى عواقب خطيرة لعل أهمها أنها تؤسس لنظرة عدوانية ضد الآخر المتجسد في العمالة الوافدة . (13)

الآثار الإيجابية : -
وفي المملكة العربية السعودية دولة مهبط الوحي وأرض الحرمين الشريفين

مما يلفت انتباههم من إغلاق المحلات التجارية وقت الصلاة ، ومظاهر الحياة العامة في رمضان حتى على مستوى الدولة، وكذلك العطل الأسبوعية والسنوية المتوافقة مع الشريعة الإسلامية وأصبحت في نظر الوافدين محل إعجاب وإكبار مما لم يعهدوه في بلدانهم ، والجهود المباركة في الدعوة إلى الله، وخاصة في أوساط الجاليات.
ولهذا تجد الأعداد الكبيرة من هؤلاء يسلمون ، ومن كان مسلماً فإنه يحسن إسلامه ، فيحافظ على الصلوات ، ويتخلص من البدع والمنكرات والخرافات ، بل منهم من رجعوا إلى بلدانهم دعاة إلى الله ، ومنهم المنصفون لهذه البلاد ضد الافتراءات. ومنهم ممن سافروا إلى بلدانهم وهم يكنون الحب والتقدير لهذه البلاد ، ويتمنى أحدهم الرجوع إليها مرة أخرى . ومن زار مكاتب توعية الجاليات في شتى مناطق المملكة العربية السعودية وعرف شواهد ذلك عياناً .

ونلخص أهم الآثار الايجابية ومنها : -

1- الإسهام في تسريع عملية البناء والتنمية الوطنية والتحديث في دول المنطقة.
2- المساهمة في توطيد العلاقات الخارجية بين الدول التي تعمل بها العمالة الوافدة ودول العالم.
3- تحريك الاقتصاد الوطني من خلال إيجاد أنشطة وخدمات تلبي احتياجات العمالة، مما ساهم في فتح باب الاستثمار أمام القطاع الخاص الوطني.
4- ساعد وجود العمالة الوافدة على إكساب
العمالة الوطنية قدرات ومهارات وخبرات جديدة متنوعة.
5- إكساب المواطنين خبرات متنوعة عن ثقافات الدول المختلفة وعاداتها وتقاليدها.
6- أسهمت العمالة في التعريف بالثقافة الوطنية الخليجية ، وأدت دوراً كبيراً في إبراز اسمها في المحافل الدولية.
7- كان لوجود هذه العمالة أثر في التعريف بالإسلام والعادات والتقاليد الإسلامية حتى أن كثيرين قد أسلموا تأثراً باحتكاكهم بالمسلمين.

الآثار السلبية : -
يقول : - أ. د. عبد العزيز الغريب، أستاذ التغير الاجتماعي بجامعة الملك الإمام محمد بن سعود الإسلامية
" أن هناك عدداً من الآثار الناجمة عن الاعتماد على العمالة الوافدة: من نشر للأفكار المنحرفة والمتطرفة، والغزو النفسي لقيم المجتمع والتأثير على الهوية الثقافية، واللغة، وتغيير بعض العادات والقيم لدى النشء، وزيادة الاتكالية، والتهاون من قبل الأسر في تربية الأطفال، والقبول بالتبرج ، والاختلاط، والمحاكاة في لبسهم وأساليب حياتهم ." (14)

أ- الآثار الاجتماعية :
1. اعتماد المرأة العاملة على المربية في تربية الأبناء.
2. استقدام العمالة أدى إلى تحول وظائف الأسرة إلى جهات رسمية كرعاية الأيتام والمسنين والمعاقين.
3. ظهور نوع من الزواج المختلط بين المواطنين والوافدين له سلبياته على الأطفال.
4. آثار على المؤسسات والنظم الاجتماعية مثل: قيام معسكرات عمل جماعية بالقرب من مواقع الإنشاءات (مناطق صناعية أو مدن محصورة) لها الأثر على تهديد البيئة الاجتماعية.
5.آثار على القيم والاتجاهات مثل: تأثر اللغة العربية باللغات الوافدة، والتأثير على العادات والتقاليد .

6 - غرس في نفس الطفل قيماً وأخلاقاً وعادت وتقاليد تخالف الإسلام .
7 - ينبغي على من عنده خدم أو عمال أن يراقب أفعالهم وأخلاقهم وتصرفاتهم المريبة حفاظاً على أبنائه وأبناء الوطن من هذه السموم والشرور .
8 - يجب على من يؤجرون العقارات ، والورشَ والمحلات ، أن يتقوا الله عز وجل ، وأن يتعاونوا مع الدولة -وفقها الله - في القضاء على هذه الشرور والمفاسد ، تعاوناً على البر والتقوى ، وحذراً من التعاون على الإثم والعدوان .
قال تعالى: { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } سورة المائدة الآية 2 .
9 - أهيب بالجميع حسن التعامل مع هؤلاء، فهم غرباء، والغريب بحاجة إلى مراعاة مشاعره ، وعدم أكل حقوقه المادية , مع الاهتمام بتوجيههم وتوعيتهم وإرشادهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، حتى يكونوا متأثرين ومصلحين لا مؤثرين ومفسدين .

ب - الآثار الاقتصادية :
1. بروز الاقتصاديات المنعزلة بالوافدين غير العرب مثل:(المدارس الخاصة كالمدرسة الهندية والباكستانية) وكذلك المطاعم والسينمات والأندية الخاصة بتلك الجاليات.
2. زيادة العبء على حكومات دول شبه الجزيرة في مجال توفير الخدمات والمرافق الأساسية كالطرق والمواصلات والمدارس الخاصة والمستشفيات وخدمات النظافة والآمن.
3. عزوف القوى العاملة الوطنية عن الإسهام في بعض المهن المتدنية.
4. الاعتماد على العمالة الوافدة أدى إلى ظهور ما يسمى (بالعمالة الترفيهية) بين المواطنين "البطالة المقنعة" الأمر الذي يسهم في عدم تناسب العائد من الموارد الاقتصادية (النفط) ومع مجموع ما ينفق عليها.
5. استنزاف دخل الدولة في عملية استقدام العمالة.

ج - الآثار الثقافية :
1- تأثر الثقافة الإسلامية واللغة العربية باللغات الوافدة وبروز لهجات عامية ركيكة تكونت عن طريق احتكاك الوافدين والمقيمين مع المواطنين.
2- الخشية من ضياع الهوية الثقافية باختلاط نماذج ثقافية متباينة بالثقافة المحلية.
3- آثار على القيم والاتجاهات مثل التأثير على بعض العادات والتقاليد.

معجم لغوي هجين : -
ويقول الدكتور نعيم محمد عبد الغني "ومن السلبيات الخطيرة التي تترتب عليها آثار اقتصادية واجتماعية وأخلاقية ازدواجية اللغة والصراع اللغوي بين هذه العمالة الوافدة، فبإمكانك في موقف واحد أن تسمع أكثر من لغة ، وأن تشاهد أكثر من جنسية ، وهذا له سلبياته التي تتمثل في عدم الفهم أو سوئه وضياع الوقت والمال ومن هذه السلبيات ظهر معجم لغوي هجين

الكلمة	معناها
سيده	امش على طول
طرش له	أرسل له
سمسم	مثل هذا مأخوذ من اللغة الإنكليزية (Same)

هذه الكلمات التي تدخل في جمل لا تفيد إلا بعد تعب ، ولا تفهم إلا بعد نصب ، ناهيك عن اعتباطية في تركيب الكلمات في بناء هذه الجمل ، وفقدان الجمال والتمتع بسماع اللغة , وناهيك عن استخدام لهجات أكثر بين أبناء الوطن العربي الذين يكتسبون بعض الكلمات من اختلاف اللهجات بالاحتكاك المباشر " (15)

وختاما : -

وهكذا لكل بداية نهاية و لا أملك إلا أن أقول أنني قد عرضت رأيي وأدليت بفكرتي في هذا الموضوع وخير العمل ما حسن آخره وخير الكلام ما قل ودل وبعد هذا الجهد المتواضع أتمنى أن أكون موفقا في سردي للعناصر السابقة سردا لا ملل فيه ولا تقصير موضحا الآثار الإيجابية والسلبية لهذا الموضوع و لعلي أكون قد وفقت في كتابته والتعبير عنه فإن وفقت فمن الله وإن أخطأ فمن نفسي .

المراجع : -

(.) سورة المائدة الآية 2
1. كتاب مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية د . سمير السعيداني
2. ومن نافلة القول إلى تعدد واختلاف وسائل الانفتاح الثقافي في الوقت الراهن .
3. لا شك أن هذه الأرقام تنطبق على فئات مجتمعية معينة دون غيرها في منطقة الخليج العربي .
4. عمرو محمد : موقع الإسلام , مقال بعنوان : العمالة الأجنبية خطر يهدد الأسر الخليجية .
5. كاتب وأكاديمي من البحرين .
6. في بعض الدول دون غيرها .
7. بوفلجة غيات : شبكة الإعلام العربية 2009/11/22م .
8. تأثير العمالة الوافدة د. حسناء القنيعير فعاليات الملتقى التنسيقي للجامعات والمؤسسات المعنية باللغة العربية في دول مجلس التعاون الخليجي . صحيفة الشرق العدد (522) صفحة 20 بتأريخ 2013/05/09م
9. تأثير العمالة الوافدة د . لطيفة النجار فعاليات الملتقى التنسيقي للجامعات والمؤسسات المعنية باللغة العربية في دول مجلس التعاون الخليجي . صحيفة الشرق العدد (522) صفحة 20 بتأريخ 2013/05/09م
10 . جامعة ذي قار العراقية – مركز أبحاث الأهوار .
11 . حيدر الصافي : الناصرية نت , 11/05/ 2009م .
12 . صحيفة إيلاف : 2009/06/03م .
13 . صحيفة الشرق الأوسط , الجمعة 1427/01/09هـ
14 ـ ا. د عبد العزيز الغريب جامعة الإمام محمد بن سعود , من كتاب التغيير الاجتماعي والثقافي في المجتمع السعودي .
15 . تأثير العمالة الوافدة على اللغة العربية في قطر د . نعيم محمد عبد الغني